الجزء الثاني من «دائرة معارف» البستاني

بقلم رئيف خوري

الدكتور فؤاد أفرام البستاني

... وها هو المجلد الثاني من دائرة المعارف التي يشرف على تجديدها دكتور الشرف فؤاد افرام البستاني يتبوأ مكانه من رفوف المكتبات . وقد كنا رأينا رأيا في المجلد الاول عند ظهوره ، ونبهنا على شروط لا بد منها في تأليف دوائر المعارف حرصا على ان يأتي العمل أوفى بالمراد ، فنستغني عن اعادة بذل الجهود ، او نحن — في الاقل — نستغني عن التفكير دائما في اننا ما زلنا مفتقرين الى دائرة للمعارف بلغتنا العربية تسد حاجة المثقف العربي . وحبذا لو كان الامر يعني الاستاذ فؤاد افرام وحده ، ولكن هذه الدائرة قد رصدت لها الدولة اللبنانية مقدارا ضخما من المال ، فضلا عن ان النسخة منها تباع بيعا حتى لمؤسسات الدولة الثقافية بثمن كبير ، وتباع للقراء ايضا بثمن غير يسير ، ثم يعلم الله وحده اين تذهب هذه العائدات كلها ، فما نظن الا بعضها ، لا كلها ، يذهب الى السادة بائعي الورق ، والسادة الطابعين والسادة المشاركين في الابحاث . فاذا كانت هذه الدائرة تصدر على حساب خزانة الدولة ، فقد اصبح ، اذن ، من الحق المادي لكل مواطن — ان لم نقل الحق المعنوي ، العلني — ان يطالب بأن يأتي العمل على اكمل وجه تستطيعه الطاقة البشرية .

وليس هذا هو الواقع مع الاسف الشديد .

فهذا المجلد الثاني الذي اخرجه الاستاذ فؤاد افرام مبتدئا فيه بمادة «الاب» منتهيا بمادة « ابن الخطاب (حمد) » لا يمثل تقدما ملموسا على المجلد الاول ، ولا محاولة افادة من كثير من النقد الصائب الذي وجه الى المجلد الاول .

هذا لا يعني اننا ننكر في عمل الاستاذ فؤاد ، كل فضل ، او اننا ننفي عن الابحاث كل قيمة ، وبعضها ابحاث قيمة حقا في موضوعها (١) ، وانما يعني ان ثمة نقصا واضحا كان ممكنا تداركه ، ويجب تداركه ، فعلام لا يتدارك ؟!

اما مرد هذا النقص كله فالى سبب واحد ، هو فقدان مخطط اساسي يتفق وغاية الدائرة ، وتبنى عليه الدائرة بناء محكما متسقا بحيث لا يتضخم منها جانب ويهزل جانب آخر ، وبحيث لا يذهب الحذف او السهو بما يجب اثباته .

نحن نتساءل ، وكل قارىء يتساءل : لماذا تكلف الاستاذ المشرف على الدائرة ان ينسق في اولها جدولا بأسماء المشاركين في الابحاث ، اذا كان ينوي أن يترك الكثير من تلك الابحاث غفلا من التوقيع ، وبينها ابحاث يشهد المجال الذي ابيح لها بأن الاستاذ يعير موضوعها أهمية خاصة كالبحث في الشاعر العباسي ابن حازم الباهلي ، وهو في نحو ستة اعمدة ، وغيره وغيره ؟

ثم يتساءل ، ويتساءل معنا كل قارىء ، لماذا اغفل الاستاذ ذكر المراجع ، او المصادر في كثير من الابحاث ، مع ان ذكرها شرط لا يصح الاخلال به في كل دائرة للمعارف تحترم ذاتها ؟ وكيف حصل ان ذكرت هذه المراجع والمصادر في بعض الابحاث دون بعضها الاخر ؟ وهل يصح في دائرة للمعارف تحترم ذاتها ترك مثل هذا الامر لهوى كاتب البحث ، وبخاصة حين يضن بتوقيعه ؟ افلا يدل ذلك على ما نوهنا به من فقدان المخطط الاساسي الذي يجب ان يلتزم في بناء الدائرة ؟

ثم لماذا أهمل ذكر بعض المواد التي كان ينتظر القارىء ، ومن حقه ان ينتظر ، ورودها في الدائرة ؟ فحين يدفع الى القارىء بمجلد من دائرة المعارف يشمل المواد من «الاب» الى « ابن الخطاب » فان للقارىء ان يتوقع بحثا في الفيلسوف الكيميائي المشهور ابن حيان (جابر) (١) ولكنه مع الاسف لا يجد مثل هذا البحث ، ولا اشارة ترده الى مكان تال من الدائرة يجد فيه مثل هذا البحث ، كأن يقال له : « انظر ، او اطلب مادة جابر » . واذا كان المثل « طعماه ابره خرّاه مسلي » يجد لذكره وشرحه متسعا في هذه الدائرة (ص ٢٠٥) ، فان ابن حيان (جابر) يحق له ان يجد ولو مثل هذا المتسع على الاقل ، بعد أن اصبح في زمننا موضوعا لابحاث كثيرة ، وبعدما أعاره المؤرخون كالدكتور جورج سارطون أهمية في تاريخ العلم . ومهما يكن من امر فان اهمال ذكر ابن حيان يعود بنا الى ما ذكرناه من فقدان المخطط الاساسي ، ولا بد على الجد في تقصي المواد .

وبعد هذا ، كيف وقع ان اضطرب كثير من الابحاث هذا الاضطراب ، فظهر على بعضها طابع الاستعجال مع ما في ذلك من تجاوز التأكيد على المهم ، بينما ظهر على بعضها الاخر حب الاطالة مع ما في ذلك من اثبات لغير المهم ، حتى خرج الامر في احيان من نطاق بحث رصين ينشر في دائرة للمعارف ، الى فصل ينشر في مجلة او جريدة للترفيه او التسلية .

هذا ابن حيان (اثير الدين) الاندلسي مثلا ، كان في رأي المجهول الذي كتبت عنه الفقرة المقتضبة في الدائرة « محدثا فقيها مفسرا اديبا شاعرا لغويا » وكان مرجعا « في الفقه والتشريع والتفسير » . ولكن ما هي تآليفه بعد هذا التكريم كله ؟ يكفي القارىء « ان له تآليف قيمة ! » واين يجد اسماء هذه التآليف القيمة ، وهل طبع

(١) تنوه منها خصوصا بابحاث الاستاذ بطرس البستاني ، ففيها من طابع الرصانة والبعد عن الاستخفاف بالقارىء ما يجعلها حقا لائقة بدائرة للمعارف .

(١) ابو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي ، من اعلام القرن الثامن الميلادي ، الثاني الهجري . قيل : كان من اصحاب جعفر الصادق ، وانقطع الى جعفر بن يحيى البرمكي . وقيل : كان صوفيا ، وكان عالما من علماء الكيمياء القديمة ، وله فيها كتب كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ، ومنها ما طبع كأسرار الكيمياء وغيرها .

دار الآداب تقدم

مدينة بلا قلب..

شـــعر

للشاعر العربي المجدد

احمد عبد المعطي حجازي

الثمن ليرتان لبنانيتان

صدر حديثا

قصائد عربية

اروع ديوان للشاعر العربي الكبير

سليمان العيسى

الثمن ثلاث ليرات لبنانية

صدر حديثا

منها شيء ، واين ، وما افضل طبعاتها ، ام تراها باقيـــة مخطوطات ، واين ؟ كل ذلك قد يجده القارىء في اي مكان الا هذه الدائرة !

وهذا ايضا ابن الاثير (عز الدين) صاحب كتاب الكامل في التاريخ . لا يخرج القارىء من هذا البحث السريـــع الذي كتبه فيه استاذنا الدكتور اسد رستم بما ينـــوه بالحقبة التي عاش فيها المؤرخ ، وعـــرف احداثها ودون اخبارها ، وكان تاريخه مصدرا اوليا من مصادرها . ثـم لا يخرج القاريء برأي في مدى ما يستطيع ان يولي ابـن الاثير من ثقة في اخباره .

ولا حاجة لتذكير استاذنا الدكتور رستم بان قيمـــة اكثر المؤرخين القدامى انما تنحصر في هذه الانحاء .

واغرب مما وقع لابن حيان (اثير الدين) ولابن الاثـير (عز الدين) ما قد وقع في هذه الدائرة لمنكود اسمـــه ابراهيم الرومي ، فقد جعل اسمه عنوانا لعشرة اسطـر ليس فيها مما يتعلق به سوى سطرين ونصف السطـر ، اما الباقي فيتصل بامرىء القيس الشاعر الجاهلي ، انـه ذهب الى القسطنطينية ، وان الامبراطور يوستيانـــوس اكرم وفادته ، وأمره على فلسطين ، ولكنه اصيب وهـو عائد بمرض كالجدري فقضى نحبـــــه في انقره ، ولقب بذي القروح ، ولم يتمتع بامارته على فلسطين ، كما لـم يتمتع ابراهيم بن الرومي بهذه الترجمة له في دائـــرة معارفنا !

اما ابراهيم الموصلي المغني فقد اوتي حظا في حيـاته بما اغدق عليه الخلفاء ، ثم سعد بهذا المنزل الرحيب الذي وفرته له الدائرة ، اذ أنزلته في اربع صفحات طـــوال عراض ، ويسرت لنا ان نقرأ ــ على مهل ــ ثلاثا من نوادره وحكاياته المستفيضة احداها ما وقع بينه وبين ابن جامع ، والثانية ما كان بينه وبين تلميذه مخارق والبرامكة، وثالثها ما اتفق له مع ابليس الذي علمه الغناء ! والانكى ان ناقـل هذا البحث في ابراهيم الموصلي يعتبر نفسه قد « اكتفى » مضطرا بهذه النوادر التي يحفل بها كتاب الاغاني ممـــا يطول سرده .

وهكذا يكون الاكتفاء ! والا فقد كان الواجب يقضي بـان يعاد في الدائرة طبع كل ما ورد في الاغاني عن المغنـي المشهور !

واخيرا فليعذرنا الاستاذ فؤاد افرام . وليأذن لنا باسم العلم ان نطالبه ، منذ اليوم ، بان يضع مخططا اساسيـــا للدائرة يلتزمه بنفسه ويلزم جميع الباحثين في المجـلدات التالية . ذلك أجدى في ميزان العلم من ان تأخذه العـزة ، ويأنف من كل نقد ، ويكتب الردود ، باسم تلاميذه . فليس لنا من غاية سوى تدارك نقص يمكن ان يتدارك ويجب ان يتدارك . ونحن على يقين ان الاستاذ المشرف على الدائرة لو اعار هذا المخطط اقل انتباه ، لما اقحـم في هذا المجـلد بحثا في الشاعر حافظ ابراهيم ، تحت مادة « ابراهيم » ، مع ان الظاهر انه يعتمد الاسم الاول لا الثاني من اسمـاء الاشخاص بحيث ينتظر القارىء ان يصادف البحث فـي حافظ ابراهيم تحت مادة « حافظ » لا مادة « ابراهيم » .

رئيف خوري